المضامين العقدية والدعوية في خطبة الوداع

م . د. احمد صباح شهاب

جامعة بغداد/كلية العلوم الإسلامية

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى اله وأصحابه أجمعين .

أما بعد ، إن السيرة النبوية الكريمة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام على مستوى الورود والاستنباط تعد مصدرا من مصادر التشريع والعقيدة والأخلاق والدعوة إلى الله تعالى ، ومن الأهمية بمكان أن تتناولها الدراسات البحثية قراءة واستنباطا وتكوين مخرجات عقدية ودعوية وتشريعية وأخلاقية تسهم في بناء الفرد والمجتمع ، وتعد خطبة الوداع موردا مهما لأخذ هذه المخرجات ، وقد سبقت هذه الدراسة ما كتبه المصنفون في السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام من الدراسات السابقة والمحدثة التي أغنت الباحثين في هذا العلم والمطلعين عليه ، وقد سلطت هذه الدراسة الضوء على خطبة الوداع وإظهار مضامينها في مجال العقيدة والدعوة والتشريع ، وبذلك تخرج السيرة النبوية الشريفة من حيز الاقتصار بعلم السيرة وحده إلى حيز تعاضد السيرة والعقيدة والدعوة ، ومن حيز الوصف التاريخي لشخصية النبي محمد صلى الله عليه وسلم إلى حيز استنباط المضامين والقيم والقواعد العامة المنظمة لحياة الإنسان في عمارته للأرض ، إن البحث عن مضامين قيمية على مستوى العقيدة والسلوك في الفكر الإسلامي جدير بان يوصل الباحث إلى التفكير العلمي السديد الذي يؤدي إلى السلوك السوي الصحيح القادر على تكوين عقلية فرد رباني يسهم في بناء أمته من جديد ، وأما منهجي في البحث فقد كان على النحو الأتي : قسمت البحث بعد المقدمة إلى مبحثين :

المبحث الأول / المطلب الأول / موارد خطبة الوداع

المطلب الثاني / محاور خطبة الوداع

المبحث الثاني / المطلب الأول /الأهمية العقدية

المطلب الثاني / الأهمية الدعوية

المطلب الثالث / المضامين العقدية والدعوية الواردة في خطبة الوداع

ثم تأتي الخاتمة والمصادر والمراجع ، هذا وأسال الله أن يجعله خالصا لوجهه الكريم وان يُنتفع به ، انه ولي ذلك والقادر عليه .

المبحث الأول : موارد ومحاور خطبة الوداع

المطلب الأول : موارد خطبة الوداع

روايات خطبة حجة الوداع عن جابر بن عبد الله (رضي الله عنه) قال: فسار الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا تشك قريش إلا أنه واقف عند المشعر الحرام كما كانت قريش تصنع في الجاهلية، فأجاز رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى أتى عرفة، فوجد القبة قد ضربت له بنمرة، فنزل بها حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء فرحلت له، فأتى بطن الوادي، فخطب الناس وقال: «إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم ، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث كان مسترضعا في بني سعد فقتلته هذيل، وربا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضع ربا عباس بن عبد المطلب فإنه موضوع كله، فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح، ولهن عليكم رزقهن، وكسوتهن بالمعروف، وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به، كتاب الله، وأنتم تسألون عني، فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت، فقال: بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: اللهم اشهد اللهم اشهد ثلاث مرات» [1] .

الرواية الثانية: قال ابن إسحاق في السيرة: (مضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على حجته، فأرى الناس مناسكهم وأعلمهم سنن حجهم، وخطب الناس خطبته التي بيّنَ فيها ما بيّنَ، فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال: «أيها الناس اسمعوا قولي، فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا في هذا الموقف أبدا ، أيها الناس: إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا، وكحرمة شهركم هذا، وإنكم ستلقون ربكم، فيسألكم عن أعمالكم، وقد بلغت ، فمن كان عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها. وإن كل ربا موضوع، ولكن لكم رءوس أموالكم، لا تظلمون ولا تظلمون، قضى الله تعالى أنه لا ربا، وأن ربا عمي العباس بن عبد المطلب موضوع كله. وإن كل دم كان في الجاهلية

موضوع، وإن أول دم أضعه دم ابن عمي ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وكان مسترضعا في بني ليث فقتلته هذيل، فهو أول ما أبدأ به من دماء الجاهلية. أما بعد أيها الناس: فإن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم هذه أبدا، ولكنه يطمع فيما سوى ذلك، فقد رضي به مما تحقرون من أعمالكم، فاحذروه على دينكم. أيها الناس: إنما النسيء زيادة في الكفر يُضل به الذين كفروا فيحلوا ما حرم الله، ويحرموا ما أحل الله، وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله منها أربعة حرم، ثلاثة متواليات ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان. أما بعد أيها الناس: فإن لكم على نسائكم حقا، ولهن عليكم حقا، لكم عليهم ألا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه، وعليهن ألا يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع، وتضربوهن ضربا غير مبرح، فإن انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف، واستوصوا بالنساء خيرا فإنهن عندكم عوان، لا يملكن لأنفسهن شيئا، وإنكم إنما أخذتموهن، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، فاعقلوا أيها الناس قولي فإني قد بلغت، وقد تركت فيكم ما إن استعصمتم به فلن تضلوا أبدا، أمرا بينا، كتاب الله وسنة نبيه. أيها الناس: اسمعوا قولي واعقلوه، تعلمن أن المسلم أخ المسلم، وأن المسلمين إخوة، فلا يحل لامرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه، فلا تظلمن أنفسكم، اللهم هل بلغت» ، ويقول ابن إسحاق ذكر لي أن الناس قالوا: اللهم نعم، فقال رسول الله (ﷺ) : " اللهم اشهد " [2]

الرواية الثالثة : قال (ﷺ) بعد أن حمد الله وأثنى عليه: «أيها الناس: اسمعوا قولي فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا، بهذا الموقف أبدا، أيها الناس: إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها. ألا إن كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، وربا الجاهلية موضوع، وإن أول ربا أبدأ به ربا عمي العباس بن عبد المطلب، وإن دماء الجاهلية موضوعة، وأول دم أبدأ به دم بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير السدنة والسقاية، والعمد قود وشبه العمد ما قتل بالعصى والحجر ، وفيه مائة بعير فمن زاد فهو من أهل الجاهلية. أيها الناس: إن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه، ولكنه قد رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرونه من أعمالكم، أيها الناس: إن النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله،

وإن الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السماوات والأرض، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض، منها أربعة حرم، ثلاثة متواليات وواحدة فرد: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ورجب الذي بين جمادى وشعبان، ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد. أيها الناس: إن لكم على نسائكم حقا، ولهن عليكم حق: لكم عليهم أن لا يوطئن فرشكم غيركم، ولا يدخلن أحدا تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم، فإن فعلن فإن الله أذن لكم أن تعظوهن، وتهجروهن في المضاجع، وتضربوهن ضربا غير مبرح، فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، واستوصوا بالنساء خيرا، فإنهن عوان عندكم لا يملكن لأنفسهن شيئا، إنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، فاتقوا الله في النساء، واستوصوا بهن خيرا، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد. أيها الناس: إنما المؤمنون إخوة، ولا يحل لامرئ مال أخيه إلا عن طيب نفس منه، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد، فلا ترجعن بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض، فإني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا: كتاب الله وسنة نبيه. أيها الناس: إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، ليس لعربي فضل على أعجمي إلا بالتقوى، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد. أيها الناس: إن الله قد قسم لكل وارث نصيبه من الميراث، وإنه لا وصية لوارث، ولا يجوز وصية في أكثر من ثلث. والولد للفراش، وللعاهر الحجر، ومن ادعى إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا، وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت، فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء ويقلبها على الناس: اللهم اشهد، اللهم اشهد، اللهم اشهد، والسلام عليكم ورحمة الله» [3]

المطلب الثاني / محاور خطبة الوداع :

إن النبي (ﷺ) قد أوتي جوامع الكلم وهذه خطبته شاهدة على ذلك فقد تناولت الخطبة عدة محاور عقدية وتشريعية وأخلاقية للفرد و المجتمع ، وهما عنصران لصناعة الأمة ، وحيث يقف الناس جميعا بعرفه. أعلن المبادئ الكبرى على الناس جميعا وهي:

أولا: حرمة الأموال والدماء والأعراض. وهذا يمثل الخط الفاصل بين الإسلام ونظم الأرض فالشيوعية اليوم تجعل الأموال والأعراض والدماء في حكم المشاع كما أن الرأسمالية تبيح الأعراض وتنتهك الأموال وتسفك الدماء والميزان الحقيقي للوجود الإسلامي في الأرض هو الحفاظ على حرمة الدماء والأموال والأعراض.

ثانيا: حرمة الربا وهو الهرم الذي يرتفع الظلم فيه حتى يسحق الفقراء في الأرض.

ثالثا: العدل وهو سمة الإسلام الأولى في هذا الوجود وبه قامت السموات والأرض ومن أجل ذلك فأول ربا يوضع هو ربا العباس بن عبد المطلب عم محمد (ﷺ) .

رابعا: حقن الدماء، وذلك إذ يتحول الحكم الإسلامي إلى القصاص، والانتقال من مفهوم الثأر إلى مفهوم القصاص. هو انتقال من العشيرة إلى الدولة، ومستوى العدل في الربا هو نفسه في الدماء (وإن أول دم أضعه هو دم ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب) والأمة التي تصان أرواحها ودماؤها هي أمة متقدمة جدا في مضمار الحضارة والمدنية وأن يكون الأمن مستتبا هو مما يحقق السعادة للأمة.

خامسا: إلغاء الوثنية فلن تعود الوثنية للأرض العربية أو تعود الأصنام والأوثان إليها بعد أن جاء الحق وزهق الباطل لكن الشيطان سيتدخل في صرف الناس عن الاستقامة على دين الله.

سادسا: حرمة التلاعب بدين الله فقد انتهى دور الشيطان في أرض الإسلام أن يعيد إليها الوثنية من جديد لكنه قد يدخل في دين الله ما ليس فيه حين يشرع الناس ما لم يأذن به الله إنها الحاكمية لله تعالى وليست للبشر فالنسيء انموذخ من هذه النماذج وهو تأخير الأشهر الحرم والتلاعب فيها يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله ويحرموا ما أحل الله.

وهذه هي القضية التي يقوم عليها الصراع بين الإسلام والجاهلية إن الحكم إلا لله قضى ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم.

سابعا: حق الرجل على المرأة ومن خلاله يتبلور النظام الاجتماعي في الإسلام فالمرأة تبع للرجل، والقوامة للرجل على المرأة والمفهوم الإسلامي للأسرة هو أن تكون المرأة وقفا على الرجل ولا تأتي بالفاحشة البينة، وعند الفاحشة فللرجل قسر المرأة وقصرها عليه ولو في الضرب غير المبرح والهجر في المضجع والموعظة الحسنة.

ثامنا: حق المرأة على الرجل وهي حين حبست نفسها عليه فعليه رزقها وكسوتها بالمعروف وعليه أن يحسن المعاملة فهن أمانة الله عند الرجال، وبكلمات الله استحلت فروجهن فاستوصوا بالنساء خيرا.

تاسعا: ودستور الأمة ينطلق من المصدرين الأساسيين ومناط التشريع عليهما كتاب الله تعالى وسنة رسوله ولا ضلال لمن تمسك بهما.

عاشرا: والرابطة العليا في الأمة هي رابطة العقيدة ورابطة الإسلام، فالأخوة من خلالها، تعلمنا أن كل مسلم أخ للمسلم، وأن المسلمين إخوة فلا يحل لامرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفسه.

وحيث تم تبليغ هذه المبادئ العشر وقد أعلنت في اجتماع يضم مائة وثلاثين ألفا لا بد لهؤلاء أن يحملوا الأمانة إلى الأرض كلها، وإلى الأجيال فيما بعد . (4)

احد عشر : توضيح إطار المسئولية الدينية التي يلتزم الإنسان بها في صدق وأمانة وإخلاص بعيدًا عن المحسوبية، والعنصرية والمحاباة.

اثنا عشر : ضرورة الفصل التام بين ما كان في الجاهلية وما جاء به الإسلام، فلا استمرار لعادة ولا تقدير لحكم سابق إن خالفه الإسلام أو هدمه.

ثلاث عشر : الزمان ثابت لا يتغير وهو يدور مع الأيام والشهور ولا يصح تغييره للهوى والعبث.

أربع عشر : بيان أن المرأة صنو الرجل في المسؤولية والجزاء، ولهن حقوقهن في إطار خلقتهن وعلى الرجل أن يحترم في المرأة إنسانيتها، وأن يتقي الله تعالى وهو يعاملها.

خمس عشر : على المسلمين أن يعلموا أن عدوهم الأكبر هو إبليس اللعين، وهم مكلفون بمقاومته والحذر من ألاعيبه. (5)

المبحث الثاني : الأهمية العقدية والدعوية لخطبة الوداع

المطلب الأول : الأهمية العقدية :

احتوت خطبة الوداع على أصول وفروع العقيدة الإسلامية المتعلقة بالله تعالى مشرعا والرسول ﷺ المبلغ عن ربه تعالى والشريعة الموضحة لسبيل مرضاة الله تعالى ويوم الجزاء لمحاسبة العباد على أعمالهم ، واحتوت على مبادئ تشريعية مهمة على مستوى الفرد والجماعة المسلمة فيما يتعلق بأسس النظام الاجتماعي والاقتصادي ومبدأ المسؤولية والمحاسبة في الدنيا والآخرة ، واحتوت أيضا على مبادئ أخلاقية تجعل من الفرد المسلم بمنزلة امة لوحده إذا أقام البنيان على أصوله الصحيحة على مستوى الفرد والأسرة والمجتمع والإنسانية جمعاء ، إن الفرد إذا تخلى عن عقيدته كان عيشه في الحياة كأنه وحش من وحوش الغابة لا هدف له إلا الأكل والشرب والنوم والسعي للحصول على اللذات البدنية كافة بقطع النظر والفكر عن حاجات العقل والروح ، كل ذلك ينجم عن ترك العقيدة فهي الأساس لبنيان الإنسان على جوانبه كلها ، وهناك ارتباط وثيق

بين العقيدة والتشريع والأخلاق فهي منظومة يكمل بعضها بعضا ، وهذه المنظومة واضحة اشد الوضوح في خطبته صلى الله عليه وسلم في يوم عرفة (خطبة الوداع) ، (إن أول ما يلفت النظر في حجة الوداع هذا الجمهور الضخم الذين حضروا مع الرسول (ﷺ) من مختلف أنحاء الجزيرة العربية، مؤمنين به، مصدقين برسالته، مطيعين لأمره، وقد كانوا جميعاً قبل ثلاثة وعشرين سنة فحسب على الوثنية والشرك، ينكرون مبادئ رسالته، ويعجبون من دعوته إلى التوحيد، وينفرون من تنديده بآبائهم الوثنيين، وتسفيهه لأحلامهم، بل كان كثير منهم قد ناصبوه العداء، وتربصوا به الشر، وبيتوا على قتله، وألبّوا عليه الجموع، وجالدوه بالسيوف والرماح، فكيف تم هذا الانقلاب العجيب في مثل هذه المدة القصيرة، وكيف استطاع ﷺ أن يحول هذه الجموع من وثنيتها وجاهليتها وترديها وتفرقها إلى توحيد الله وعلم ذاته وصفاته، واجتماع الكلمة، ووحدة الهدف والغاية؟ وكيف كسب حب هذه القلوب بعد عداوتها، وهي المعروفة بشدة الشكيمة وعنف الخصام؟ ألا إن إنساناً مهما بلغت عبقريته، ودهاؤه، وقوة شخصيته ليستحيل أن يصل إلى هذا في مئات السنين، وما سمعنا بهذا في الأولين والآخرين، إن هو إلا صدق الرسالة، وتأييد السماء، ونصرة الله، ومعجزة الدين الشامل الكامل الذي أتم الله به نعمته على عباده، وختم به رسالاته للناس، وأراد أن ينهي به شقاء أمة كانت تائهة في دروب الحياة، مستذلة للأهواء والعصبيات، وأن يدلها على طريق الهداية، ويفتح أعينها لأشعة الشمس، ويقلدها قيادة الأمم، ويحوّل بها مجرى التاريخ، ويمحي بها مهانة الإنسان، ويورثها الحكمة والكتاب هدى وذكرى لأولي الألباب. مائة وأربعة عشر ألفاً كانوا له مكذبين، فأصبحوا له مصدقين، وكانوا له محاربين، فأصبحوا له مذعنين، وكانوا له مبغضين، فأصبحوا له محبين، وكانوا عليه متمردين، فأصبحوا له طائعين، كل ذلك في ثلاث وعشرين من السنين .. ذلك هو صنع الله الحق المبين، وثاني ما يلفت النظر في حجة الوداع هذا الخطاب القوي الحكيم الذي خاطب به رسول الله الناس أجمعين، وتلك المبادئ التي أعلنها بعد إتمام رسالته ونجاح قيادته، مؤكدة للمبادئ التي أعلنها في أول دعوته، يوم كان وحيداً مضطهداً، ويوم كان قليلاً مستضعفاً، مبادئ ثابتة لم تتغير في القلة والكثرة، والحرب والسلم، والهزيمة والنصر، وإعراض الدنيا وإقبالها، وقوة الأعداء وضعفهم، بينما عرفنا في زعماء الدنيا تقلباً في العقيدة والمبدأ، وتبايناً في الضعف والقوة، وتغيراً في الوسائل والأهداف، يظهرون خلاف ما يبطنون، وينادون بغير ما يعتقدون، ويلبسون في الضعف لبوس الرهبان، وفي القوة جلود الذئاب، وما ذلك إلا لأن هؤلاء

رسل المصلحة، وأولئك رسل الله وشتان بين الذين يعملون لأنفسهم، وبين الذين يعملون لإنسانيتهم، شتان بين أولياء الشيطان وأولياء الرحمن) .[6]

المطلب الثاني / الأهمية الدعوية :

تكمن الأهمية الدعوية لخطبة حجة الوداع في أنها وفرت وسمحت – بتوفيق الله وفضله – لنبي الرحمة (ﷺ) في أن يلتقي ويخطب بهذا العدد الكبير مع الإشهاد والتحمل لهم لنيل شرف التبليغ عنه (ﷺ) ، (إن لحجة رسول الله (ﷺ) هذه معنى جليلا يتعلق بالدعوة الإسلامية ويتعلق بحياته ﷺ ويتعلق بالمنهج العام للنظام الإسلامي. لقد تعلم المسلمون من رسول الله (ﷺ) صلاتهم وصيامهم وأمر زكاتهم وعامة ما يتعلق بهم من عبادات وواجبات، وبقي أن يعلمهم مناسكهم وكيفية أدائهم شعائر الحج بعد أن طويت تلك التقاليد الجاهلية المتوارثة أيام موسم الحج من تصدية وصفير وعري أثناء الطواف، وقضي عليها مع القضاء على الأوثان وتطهير بيت الله الحرام منها. وإن الدعوة إلى الحج لبيت الله الحرام ستظل قائمة إلى يوم القيامة، فهي دعوة أبي الأنبياء إبراهيم عليه الصلاة والسلام بأمر من ربه سبحانه وتعالى. ولكنّ انحرافات الجاهلية وضلالات الوثنية قد زادت فيه تقاليد باطلة وصبغته بكثير من مظاهر الكفر والشرك، وقد جاء الإسلام ليغسل هذه الشعيرة مما قد علق بها من أدران، ويعيدها نقية صافية تشع بنور التوحيد وتقوم على أساس العبودية المطلقة لله تعالى. من أجل ذلك أذّن رسول الله ﷺ في الناس أنه حاجّ إلى بيت الله الحرام، ومن أجل ذلك أقبل الناس من كل حدب وصوب يريدون أن يأتموا به ليتعلموا الأعمال الصحيحة للحج فلا يقعوا في رواسب التقاليد الجاهلية البائدة. [7]

ويبدو أنه قد ألقي في روعه ﷺ ، أن مهمته في الأرض توشك أن تنتهي، فقد أدى الأمانة، وأينعت أرض الجزيرة بغرس التوحيد وانتشر الإسلام يغزو الأفئدة والقلوب في كل مكان. وإن بالناس– وهم اليوم كثرة متفرقون– لشوقا إلى مزيد من اللقاء مع رسولهم والاستفادة من هديه ونصائحه، وبه هو أيضا ﷺ شوقا إلى مزيد من اللقاء معهم، لا سيما تلك الحشود التي دخلت في الإسلام حديثا من مختلف جهات الجزيرة العربية، ممن لم تتح لهم فرص اللقاء الكافي معه ﷺ . وإن أكبر وأجمل فرصة لذلك إنما هي فرصة اللقاء في الحج إلى بيت الله الحرام، وفي سفوح عرفات، لقاء بين أمة ورسولها في ظل شعيرة من أكبر شعائر الإسلام، لقاء اتضح أنه كان في علم الله تعالى

وإلهام رسوله، لقاء توصية ووداع. ويريد رسول الله ﷺ أيضا أن يلتقي بهؤلاء الحشود المسلمة، الذين جاؤوا ثمرة جهاد استمر ثلاثة وعشرين عاما، ليلخص لهم تعاليم الإسلام ونظامه في كلمات جامعة وموعظة مختصرة يضمّنها كوامن وجدانه ونبرات محبته لأمته، وليستطلع من وجوههم صورة نسلهم وأعقابهم الذين سيأتون من بعد فينهي إليهم نصائحه وتوصياته من خلف حواجز الزمن ووراء أسوار القرون) .[8]

كما أن لعنصر التوقيت والاتصال الجمعي والربط للمقاصد العظيمة والاشتراك في تحمل المسؤولية أثراً واضحاً في خطبته الشريفة صلى الله عليه وسلم [9]

المطلب الثالث / المضامين العقدية والدعوية في خطبة حجة الوداع

احتوت خطبة النبي ﷺ على مضامين عقدية ودعوية وتشريعية كثيرة ، فهي أخر خطبة له بجمع كبير كجمع الحج هذا واسترعى رسول الله ﷺ هذا الأمر بقوله " لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا " ، لذلك فقد أكد وكرر أصول وأسس الإسلام من حيث العقيدة والدعوة والشريعة والأخلاق.

ومن أهم هذه المضامين ما يلي :

1 – الاستفتاح بحمد الله تعالى والاستعانة به :

وأما دلالة الحمد على الاعتقاد ؛ فإن الحمد يدل على الاعتقاد والتوحيد دلالة تضمن لأن الحمد لا يأتي إلا بعد الاعتراف للمحمود بجميل الخصال ولذلك –والله أعلم – اختلف أهل العلم كما يقول الإمام القرطبي رحمه الله [10] : اختلف العلماء أيهما أفضل، قول العبد: الحمد لله رب العالمين، أو قول لا إله إلا الله ؟ فقالت طائفة: قوله الحمد لله رب العالمين أفضل، لان في ضمنه التوحيد الذي هو لا إله إلا الله، ففي قوله توحيد وحمد، وفي قوله لا إله إلا الله توحيد فقط . وقالت طائفة : لا إله إلا الله أفضل ، لأنها تدفع الكفر والإشراك، وعليها يقاتل الخلق ، قال رسول الله ﷺ : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله) [11]. واختار هذا القول ابن عطية قال : والحاكم بذلك قول النبي ﷺ : (أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له) . وقال ابن القيم رحمه الله تعالى عند تفسير قوله تعالى : (الحمد لله رب العالمين) نجد تحت هذه الكلمة إثبات كل كمال للرب تعالى فعلا ووصفا واسما ، وتنزيهه عن كل سوء وعيب فعلا ووصفا واسما ، فهو محمود في أفعاله وأوصافه وأسمائه ، منزه عن العيوب والنقائص في أفعاله وأوصافه وأسمائه ، فأفعاله كلها حكمة ورحمة ومصلحة وعدل لا

تخرج عن ذلك ، وأوصافه كلها أوصاف كمال ونعوت وجلال ، وأسماؤه كلها حسنى ، وحمده قد ملأ الدنيا والآخرة والسموات والأرض وما بينهما ، وما فيهما ، فالكون كله ناطق بحمده ، والخلق والأمر صادر عن حمده ، وقائم بحمده ، ووجد بحمده، فحمده هو سبب وجود كل موجود ، وهو غاية كل موجود ، وكل موجود شاهد بحمده...)[12].

ومما تضمنته هذه الخطبة المباركة طلب الاستعانة من الله تعالى ، وهذا باب عظيم من أبواب العقيدة والتوحيد ، والاستعانة : الثقة بالله والاعتماد عليه ، والعبد محتاج للاستعانة بالله على مصالح دينه ودنياه، فهو محتاجٌ إليها في فعل المأمورات وترك المحظورات ، وفي الصبر على المقدورات ، كما قال يعقوب عليه السلام : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ [13].

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله عند شرح قوله صلى الله عليه وآله وسلم : (وإذا استعنت فاستعن بالله) قال : (الاستعانة بالله وحده منتزع من قوله تعالى : (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) ، وهي كلمة عظيمة جامعة يقال : إن سر الكتب الإلهية كلها ترجع إليها وتدور عليها ، وفي استعانة الله وحده فائدتان : إحداهما : أن العبد عاجز عن الاستقلال بنفسه في عمل الطاعات ، والثانية : أنه لا معين له على مصالح دينه ودنياه إلا الله عز وجل ، فمن أعانه الله فهو المعان، ومن خذله الله فهو المخذول ، وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجزن)[14] ، وأمر معاذ بن جبل أن لا يدع في دبر كل صلاة أن يقول: (اللهم أعني على ذكر وشكرك وحسن عبادتك) ، وكان من دعائه صلى الله عليه وآله وسلم (يا رب أعني ولا تعن علي) [15][16].

2 – الدعوة إلى الله تعالى :

والدعوة إلى الله تعالى من أهم وظائف الأنبياء والرسل عليهم السلام أجمعين ، ونجدها واضحة في أقوال النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأفعاله ومواقفه كافة ، يقول الله تعالى ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [17]

يقول صاحب ظلال القران سيد قطب : (على هذه الأسس يرسي القرآن الكريم قواعد الدعوة ومبادئها، ويعين وسائلها وطرائقها، ويرسم المنهج للرسول الكريم، وللدعاة من بعده بدينه القويم فلننظر في دستور الدعوة الذي شرعه الله في هذا القرآن.

إن الدعوة دعوة إلى سبيل الله. لا لشخص الداعي ولا لقومه. فليس للداعي من دعوته إلا أنه يؤدي واجبه لله، لا فضل له يتحدث به، لا على الدعوة ولا على من يهتدون به، وأجره بعد ذلك على الله ، والدعوة بالحكمة، والنظر في أحوال المخاطبين وظروفهم، والقدر الذي يبينه لهم في كل مرة حتى لا يثقل عليهم ولا يشق بالتكاليف قبل استعداد النفوس لها. والطريقة التي يخاطبهم بها، والتنويع في هذه الطريقة حسب مقتضياتها. فلا تستبد به الحماسة والاندفاع والغيرة فيتجاوز الحكمة في هذا كله وفي سواه ، وبالموعظة الحسنة التي تدخل إلى القلوب برفق، وتتعمق المشاعر بلطف، لا بالزجر والتأنيب في غير موجب ولا بفضح الأخطاء التي قد تقع عن جهل أو حسن نية. فإن الرفق في الموعظة كثيراً ما يهدي القلوب الشاردة، ويؤلف القلوب النافرة، ويأتي بخير من الزجر والتأنيب والتوبيخ ، وبالجدل بالتي هي أحسن. بلا تحامل على المخالف ولا ترذيل له وتقبيح. حتى يطمئن إلى الداعي ويشعر أن ليس هدفه هو الغلبة في الجدل، ولكن الإقناع والوصول إلى الحق. فالنفس البشرية لها كبرياؤها وعنادها، وهي لا تنزل عن الرأي الذي تدافع عنه إلا بالرفق، حتى لا تشعر بالهزيمة. وسرعان ما تختلط على النفس قيمة الرأي وقيمتها هي عند الناس، فتعتبر التنازل عن الرأي تنازلاً عن هيبتها واحترامها وكيانها. والجدل بالحسنى هو الذي يطامن من هذه الكبرياء الحساسة. ويشعر المجادل أن ذاته مصونة، وقيمته كريمة، وأن الداعي لا يقصد إلا كشف الحقيقة في ذاتها، والاهتداء إليها. في سبيل الله، لا في سبيل ذاته ونصرة رأيه وهزيمة الرأي الآخر! ولكي يطامن الداعية من حماسته واندفاعه يشير النص القرآني إلى أن الله هو الأعلم بمن ضل عن سبيله وهو الأعلم بالمهتدين. فلا ضرورة للجاجة في الجدل إنما هو البيان والأمر بعد ذلك لله) . [18]

يقول د عبد الكريم زيدان : (والواقع أنَّ الدعوة إلى الله هي وظيفة رسل الله جميعًا، ومن أجلها بعثهم الله تعالى إلى الناس، فكلهم بلا استثناء دعوا أقوامهم ومن أرسلوا إليهم إلى الإيمان بالله، وإفراده بالعبادة على النحو الذي شرعه لهم، قال تعالى عن نوح – عليه السلام: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} ، وقال تعالى عن هود –عليه السلام– : {وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} ، وعن صالح قال تعالى: {إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} ، وعن شعيب عليه السلام قال تعالى: {وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ}.

وهكذا جميع رسل الله دعوا إلى الله، إلى عبادته وحده، التبرؤ من عبادة ما سواه، قال تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} ، فرسل الله هم الدعاة إلى الله، وقد اختارهم الله لحمل دعوته وتبليغها إلى الناس...و الداعي الأول إلى الله تعالى بعد أن أنعم الله علينا بالإسلام، هو رسولنا الكريم محمد -ﷺ ، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا} ، وقد كرَّر القرآن الكريم الخطاب إلى الرسول ﷺ يأمره بالدعوة إلى الله والاستمرار عليها وعدم التحوّل عنها، فمن هذه الآيات الكريمة قوله تعالى: {وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ} ، وقوله تعالى: {وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} ، وقوله تعالى: {قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ} ، وقد ظلَّ ﷺ يدعو إلى ربه -تبارك وتعالى- حتى أتاه اليقين من ربه، وصار إلى جواره الكريم راضيًا مرضيًّا، فجزاه الله على المسلمين خير الجزاء.) [19] .

وكذا الأمة الإسلامية مكلفة بحمل لواء الدعوة ، لان الأصل في خطاب الله لرسوله ﷺ دخول أمته فيه، إلّا ما استثني، وليس من هذا المستثنى أمر الله -تبارك وتعالى- بالدعوة إليه، ومعنى ذلك أنَّ الله تعالى أكرم هذه الأمة الإسلامية وشرَّفها أن أشركها مع رسوله الكريم في وظيفة الدعوة إليه، وهذا التشريف والتكريم لا يستفاد فقط من الخطابات الإلهية لرسوله بالدعوة إليه كما ذكرنا، وإنما هو صريح الآيات الكثيرة في القرآن يقول الله تعالى ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَٰسِقُونَ ﴾ [20] .

وارتباط مفهوم الدعوة بالعقيدة وثيق لان الدعوة إلى الله تعالى لاتكون إلا بإيضاح المعتقد الصحيح ونبد الخرافات والعقائد الفاسدة الأخرى ، ويعتبر من مهام التبليغ الذي كلف الله تعالى أنبياءه ورسله عليهم السلام أجمعين .

3- محاسبة الله تعالى لعباده :

وهو منحى عقدي ودعوي في غاية الأهمية بمكان ، إذ ارتباط الأخلاق والتشريعات بمبدأ حساب الله تعالى في اليوم الآخر وما يتبعه من ثواب و عقاب وجنة ونار له الأثر البالغ في الحياة الدنيا إذ به سوف يكّون محكمة ذاتية تحاسب الإنسان على تصرفاته وهي المسماة بـــ(الضمير) في عدّ المبدأ أو (التقوى) باعتبار النتيجة ، إن الحاجة إلى ترسيخ عقيدة الإيمان باليوم الآخر عموما والحساب خصوصا له من التأثير

النفسي والأخلاقي وتعديل السلوك والضرورة الكونية الشيْ الكبير لأنه من أهم دوافع تغيير سلوك الإنسان نحو الأحسن ، وكثيرة هي الآيات القرآنية الداعية إلى الاستعداد لملاقاة الله تعالى ، نحو قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ [21].

4- مآثر الجاهلية موضوعة تحت قدمه ﷺ عدا سدانة الكعبة الشريفة وسقاية حجاج بيت الله الحرام : يقول علي الصلابي : (أشار ﷺ إلى أهمية قطع المسلم علاقته بالجاهلية، أوثانها، وثاراتها، ورباها، وغير ذلك، ولم يكن حديثه ﷺ مجرد توصية بل كان قرارًا أعلن عنه للملأ كله لأولئك الذين كانوا من حوله والأمم التي ستأتي من بعده، وهذه هي صيغة القرار: «ألا إن كل شيء من أمر الجاهلية، تحت قدمي موضوع، دماء الجاهلية موضوعة ... وربا الجاهلية موضوع» لأن الحياة الجديدة التي يحياها المسلم بعد إسلامه حياة لا صلة لها برجس الماضي وأدرانه)[22]

5- تأثير الشيطان على الإنسان فما يحقر من العمل (التحريش) مع يأسه في أن يُعبد : يقول الإمام النووي رحمه الله (وَمَعْنَاهُ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ أَهْلُ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَلَكِنَّهُ سَعَى فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ بِالْخُصُومَاتِ وَالشَّحْنَاءِ وَالْحُرُوبِ وَالْفِتَنِ وَنَحْوِهَا) . [23]

ويقول زين الدين المناوي (أي يسعى في التحريش أي في إغراء بعضهم على بعض وحملهم على الفتن والحروب والشحناء قال القاضي: والتحريش الإغراء على الشيء بنوع من الخداع من حرش الضب الصياد خدعه وله من دقائق الوسواس ما لا يفهمه إلا البصراء بالمعارف الإلهية ، وقال الطيبي: لعل المصطفى ﷺ أخبر بما يكون بعده من التحريش الواقع بين صحبه أيس أن يعبد فيها لكن طمع في التحريش وكان كما أخبر فكان معجزة) .[24]

ويخبر الله تعالى عن منهجية الشيطان في التحريش بين الناس في كثير من آيات القران الكريم ومنها قوله تعالى ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا ﴾ [25] ، وقوله تعالى ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [26].

وغيرها من الآيات الدالة على هذا المعنى تصريحا أو تلميحا ، يقول ابن كثير رحمه الله في تفسيره : (أُمُرُ تَعَالَى رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَأْمُرَ عِبَادَ اللَّهِ الْمُؤْمِنِينَ، أَن يقولوا في مخاطباتهم ومحاوراتهم الكلام الْأَحْسَنَ وَالْكَلِمَةَ الطَّيِّبَةَ؛ فَإِنَّهُ إِذْ لَمْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ،

نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنَهُمْ، وَأَخْرَجَ الْكَلَامَ إِلَى الْفِعَالِ، وَوَقَعَ الشَّرُّ وَالْمُخَاصَمَةُ وَالْمُقَاتَلَةُ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ عَدُوٌّ لِآدَمَ وَذُرِّيَّتِهِ مِنْ حِينِ امْتَنَعَ مِنَ السُّجُودِ لِآدَمَ، فَعَدَاوَتُهُ ظَاهِرَةٌ بَيِّنَةٌ؛ وَلِهَذَا نَهَى أَنْ يُشِيرَ الرَّجُلُ إِلَى أَخِيهِ الْمُسْلِمِ بِحَدِيدَةٍ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ فِي يَدِهِ، أَيْ: فَرُبَّمَا أَصَابَهُ بِهَا)[27]، و يقول صاحب الظلال سيد قطب : (هو على وجه الإطلاق وفي كل مجال. فيختاروا أحسن ما يقال ليقولوه.. بذلك يتقون أن يفسد الشيطان ما بينهم من مودة. فالشيطان ينزغ بين الإخوة بالكلمة الخشنة تفلت، وبالرد السيّء يتلوها فإذا جو الود والمحبة والوفاق مشوب بالخلاف ثم بالجفوة ثم بالعداء. والكلمة الطيبة تأسو جراح القلوب، تندّي جفافها، وتجمعها على الود الكريم. «إِنَّ الشَّيْطانَ كانَ لِلْإِنْسانِ عَدُوًّا مُبِيناً».. يتلمس سقطات فمه وعثرات لسانه، فيغري بها العداوة والبغضاء بين المرء وأخيه. والكلمة الطيبة تسد عليه الثغرات، وتقطع عليه الطريق، وتحفظ حرم الأخوة آمنا من نزغاته ونفثاته.) [28].

هذا هو منهج الشيطان في الوسوسة والحث على الخواطر السيئة وتزيين الخطوات إلى المنكر والإغواء والإغراء ، وعلى مستوى الدعوة إلى صناعة الذنب صغيره وكبيره ، إن الشيطان يأتي ابن آدم فيوسوس له بالكفر، فإن رآه على الإيمان يوسوس له بالشرك، وإن رآه على توحيد يوسوس له بالكبائر، وإن رآه على طاعة يوسوس له بالصغائر، وإن رآه على ورع يوسوس له بالبدع ، وإن رآه على سنة يوسوس له بشيئين، وهما آخر ورقتين بيد الشيطان:

الورقة الأولى: المباحات : من حيث الانغماس فيها وتقديمها على مهمات الدين .

الورقة الثانية: يوسوس له بالتحريش بين المؤمنين

إذنً من سابع المستحيلات أن يعبد شيطان في بلاد المسلمين، أو أن يتخذ صنمٌ في بلاد المسلمين، على الأقل نظرياً ، لكن هناك شرك عملي ، فالتحريش بين المؤمنين آخر ورقة بيد الشيطان، فتجد المسلمين ممزقين.

6- أهمية الإخوة في دين الله تعالى والنهي عن الظلم :

عندما نقرأ في كتاب الله تعالى نلحظ ظاهرة مهمة واضحة للعيان وهي أن الخطابات الإلهية من أمر ونهي وترغيب وترهيب ، ومدح وذم لكل من أتى أو انتهى ، هي خطابات جمعية ، (امنوا ، عملوا ، يا أيها الناس ، عليكم ، الصابرون ، الذين) وغيرها كثير من المفردات الجمعية ، وهذا يؤسس لقاعدة وهي أن الإسلام دين جمعي ،

و يؤيده الخطاب الرباني في القران الكريم كله بدءاً من سورة الفاتحة وانتهاءً بسورة الناس وتأسيسا على ما تقدم فان الإسلام بتشريعاته وقيمه وأحكامه سعى سعيا حثيثاً ، إلى تغيير مفاهيم المجتمع الجاهلية إلى مفاهيم جديدة قائمة على نمط أخلاقي قِيمّي بتشريع الهي مناسب لفطرة الإنسان ومحافظ عليها من أدران الجاهلية ، فكان الإخوة التي تعرفها العرب الصلة والنسبة بالدم ، فغيرها الإسلام إلى أن الإخوة ليس الصلة بالدماء والنسب وإنما بالانتماء لحمل هوية (لااله إلا الله / محمد رسول الله) ، والإخوة تُعد العصب الرئيس للمجتمع المسلم إذ بها يتكون ، ولهذا نجد النبي صلى الله عليه وسلم أكد عليها في الكثير من المواقف والمناسبات قبل الهجرة وبعدها ومن أبرزها المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار فقد دلت دلالة واضحة على معنى واسع للإخوة يؤكده ﷺ في آخر حجة له صلى الله عليه وسلم ، يقول الله تعالى ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[29] ، يقول القرطبي رحمه الله : (أي في الدين والحرمة لا في النسب ، ولهذا قيل : أخوة الدين أثبت من أخوة النسب ، فإن أخوة النسب تنقطع بمخالفة الدين وأخوة الدين لا تنقطع بمخالفة النسب. وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : "لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تناجشوا وكونوا عباد الله إخوانا" . وفي رواية : "لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانا ، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، التقوى ها هنا – ويشير إلى صدره ثلاث مرات – بحسب أمريء من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه" لفظ مسلم. وفي غير الصحيحين عن أبي هريرة قال النبي ﷺ : "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يعيبه ولا يخذله ولا يتطاول عليه في البنيان فيستر عليه الريح إلا بإذنه ولا يؤذيه بقتار قدره إلا أن يغرف له غرفة ولا يشتري لبنيه الفاكهة فيخرجون بها إلى صبيان جاره ولا يطعمونهم منها) .[30]

7- النهي عن الدماء و خطورة التكفير :

(من أخطر صور الانحراف عن منهاج الوسطية، والبعد عن طريق رسول ﷺ ، وصحابته الكرام، ومن تبعهم بإحسان، القول بتكفير أصحاب الكبائر وخروجهم من الإسلام، تلك الفتنة القديمة الجديدة: قديمة؛ إذ قالت بها فئة ضالة خرجت على جماعة المسلمين في عهد الخلفاء الراشدين، سماها المسلمون (الخوارج) ، وترتب على ضلالها

في التكفير، والقول على الله وعلى رسوله بغير علم، فتن وخلافات بين المسلمين، سُفكت فيها الدماء، وانتهكت فيها الحرمات، وقاسى المسلمون من آثارها المدمرة منذ بدأت إلى الآن، آلامًا عظيمة، ومحناً كبيرة) [31] .

يقول أبو حامد الغزالي: " الكفر حكم شرعي كالرق والحرية مثلاً، إذ معناه إباحة الدم والحكم بالخلود في النار، ومدركه شرعي، فيدرك إما بنص، وإما بقياس على منصوص". [32]

ويؤكد القاضي عياض أن: " كشف اللبس فيه، مورده الشرع، ولا مجال للعقل فيه". [33]

ويقول ابن تيمية: " الكفر حكم شرعي متلقى عن صاحب الشريعة، والعقل قد يُعلم به صواب القول وخطؤه، وليس كل ما كان خطأً في العقل، يكون كفراً في الشرع، كما أنه ليس كل ما كان صواباً في العقل، تجب في الشرع معرفته". [34]

ويقول ابن الوزير: " إن التكفير سمعي محض لا مدخل للعقل فيه"، ويقول: "إن الدليل على الكفر والفسق لا يكون إلا سمعياً قطعياً". [35]

والتكفير: هو الحكم على أحد من الناس بأنه قد خرج من الإسلام، ووصفه بوصف الكفر، لإتيانه بما يوجب كفره. والتكفير أمره عظيم وخطره جسيم، وهو بغي شديد. يقول ابن أبي العز الحنفي: "فإنه من أعظم البغي أن يشهد على معين أن الله لا يغفر له ولا يرحمه بل يخلده في النار".[36]

فالحكم على معين بالكفر يترتب عليه أمور في الدنيا وأمور في الآخرة:

أما أمور الدنيا فيترتب عليه قطع الأخوة الدينية بينه وبين إخوانه المسلمين، وفسخ نكاحه، ومنع التوارث بينه وبين قرابته المسلمين، كما يوجب شرعاً قتله للردة، لقوله عليه الصلاة والسلام: "لا يحل دم امريء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة". [37]

أما أمور الآخرة فهي أخطر وأعظم، وهي حرمان الإنسان من رحمة الله تعالى والخلود في النار، وقطع رجائه من الخروج منها، وعدم استحقاقه للشفاعة.

كما قد ورد الوعيد الشديد لمن وصف أحداً من المسلمين بالكفر، وهو ليس بكافر، وذلك كما في حديث ابن عمر رضي الله عنه: "أيما امريء قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما إن كان كما قال وإلا رجعت إليه". وفي حديث آخر: "من قال لأخيه كافر أو عدو الله ثم لم يكن كذلك إلا حار عليه"[38]

فهذا وعيد شديد لمن وصف أحداً من الناس بالكفر وليس بكافر. ومذهب أهل السنة في ذلك أنهم لا يكفرون بالذنوب، فقد روي أن رجلاً سأل جابر بن عبد الله:هل كنتم تدعون أحداً من أهل القبلة مشركاً؟ قال: معاذ الله. ففزع من ذلك. قال: هل كنتم تدعون أحداً منهم كافراً؟ قال: لا ".[39]

كما قال الطحاوي رحمه الله:"ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله".[40]

بمعنى أن الذنوب التي هي الوقوع فيما حرم الله من شرب الخمر أو القذف أو الزنا لا توجب الكفر إلا في حالة أن يستحله الإنسان، فيرى أنه حلال له ذلك، فهذا يخرج من الإسلام، لأن استحلاله يعني تكذيبه لكلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم في تحريمه، وهو أعظم جرماً من الفعل نفسه.

(وللتكفير أنواع ثلاثة؛ تكفير بالعموم، وتكفير أوصاف، وتكفير أشخاص وسنعرض لهذه الأنواع بالتفصيل التالي:

1. التكفير بالعموم: ومعناه تكفير الناس كلهم عالمهم وجاهلهم من قامت عليه الحجة ومن لم تقم. وهذه طريقة أهل البدع وقد برأ الله أهل السنة منها.
2. تكفير أوصاف: وهذا كقول أهل العلم في كتب العقائد في باب الردة من كتب الفقه: من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم كفر، ومن سب الله أو رسول ﷺ كفر، ومن كذب بالبعث كفر. وإطلاق أهل العلم هذا يقصدون به أن هذا الفعل كفر يخرج من الإسلام أما صاحبه فلا يكفرونه حتى تتوفر الشروط وتنتفي الموانع، فليس من لازم كون الفعل كفراً أن يكون فاعله كافراً.
3. تكفير المعين: والمقصود به الحكم على الشخص الذي وقع في أمر يخرج من الملة بالكفر.

ومذهب جمهور العلماء في ذلك وسط بين من يقول: لا نكفر أحداً من المسلمين ولو ارتكب ما ارتكب من نواقض الإسلام.. وبين من يكفر المسلم بكل ذنب دون النظر إلى أن هذا الذنب مما يكفر به فاعله أم لا ودون النظر إلى توفر شروط التكفير وانتفاء موانعه.

ويشترط للتكفير شرطان :

أحدهما : أن يقوم الدليل على أن هذا الشيء مما يكفر به فاعله.

الثاني: انطباق الحكم على من فعل ذلك بحيث يكون عالماً بذلك قاصداً له مختاراً، فإن كان جاهلاً أو متأولاً أو مخطئاً أو مكرهاً فقد قام به مانع من موانع التكفير فلا يكفر على حسب التفصيل الآتي في موانع التكفير.

موانع التكفير:

(1) الجهل: والجهل يكون مانعاً من موانع التكفير في حالات دون حالات وإليك تفصيل ذلك فيما يأتي:

ا. من كان حديث عهد بالإسلام أو من نشأ ببادية بعيدة عن أهل العلم والإيمان فأنكر شيئاً مما هو معلوم من الدين بالضرورة كالصلاة أو تحريم شرب الخمر وكذا من نشأ في بلاد يكثر فيها الشرك ولا يوجد من ينكر عليهم ما يقعون فيه من الشرك فلا يكفرون إلا بعد أن تقام عليهم الحجة.

ب . من أنكر الأمور المعلومة من الدين بالضرورة كوجوب الصلاة والزكاة وتحريم شرب الخمر مع كونه في دار إسلامٍ وعلمٍ، ولم يكن حديث عهدٍ بإسلام فإنه يكفر بمجرد ذلك.

ج . هناك أحكام ظاهرة متواترة مجمع عليها ومسائل خفية غير ظاهرة لا تعرف إلا من طريق الخاصة من أهل العلم كإرث بنت الابن السدس مع بنتٍ وارثة النصف تكملة للثلثين. فمن أنكر شيئاً من هذه الأحكام من العامة فلا يكفر إلا بعد أن تبين له ثم يصر على إنكاره، أما من أنكرها من أهل العلم فيكفر إذا كان مثله لا يجهلها.

(2) الخطأ : بأن يعمل عملاً أو يعتقد اعتقاداً يكون مخالفاً للإسلام كمن حكم بغير ما أنزل الله مخطئاً وهو يريد أن يحكم بما أنزل الله أو فعل شيئاً من الشرك يظنه جائزاً أو أنكر شيئاً من الدين ظاناً أنه ليس منه والدليل قوله صلى الله عليه وسلم "إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر".

(3) التأويل: وهو صرف اللفظ عن ظاهره الذي يدل عليه إلى ما يخالفه لدليل منفصل، وهو قسمان:

القسم الأول: قسم يعذر صاحبه بتأويله، وهو ما كان مبنياً على شبهة، بأن كان له وجه من لغة العرب، وخلصت نية صاحبه؛ كمن تأول في صفات الله تعالى وكان تأويله مبنياً على شبهة وخلصت نية صاحبه

والقسم الثاني: تأويل لا يعذر أصحابه كتأويلات الباطنية والفلاسفة ونحوهم ممن حقيقة أمرهم تكذيب للدين جملة وتفصيلا أو تكذيب لأصل لا يقوم الدين إلا به كتأويل الفرائض والأحكام بما يخرجها عن حقيقتها وظاهرها. فهذا كفر مخرج عن الإسلام.

(4) الإكراه : من أكره على الكفر بأن ضُرب وعذب، بأن يرتد عن دينه أو يسب الإسلام.. أو هدد بالقتل والمهدِّد قادر على فعل ما هدد به، فكفر ظاهراً مع اطمئنان قلبه بالإيمان فهذا معذور ولا يكفر بفعله ذلك .[41]

إن التعامل الإنساني على مبدأ الإخوة في دين الله تعالى وحرمة سفك الدماء هي أسس لبناء مجتمع فاضل ، وهذا ما يؤكده محمد منير الغضبان : (حقن الدماء، وذلك حيث يتحول الحكم الإسلامي إلى القصاص، والانتقال من مفهوم الثأر إلى مفهوم القصاص. هو انتقال من العشيرة إلى الدولة، ومستوى العدل نفسه في الربا هو هو نفسه في الدماء (وإن أول دم أضعه هو دم ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب) والأمة التي تصان أرواحها ودماؤها هي أمة متقدمة جدا في مضمار الحضارة والمدنية وأن يكون الأمن مستتبا هو الذي يحقق السعادة للأمة) . [42]

8- طاعة الرسول ﷺ من طاعة الله تعالى :

لقد اجمع العلماء قاطبة على وجوب طاعة الرسول ﷺ ، وهذا انطلاقا من كتاب ربنا جل جلاله وفهما لسنة نبينا ﷺ ، فقد قال الله تعالى ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴾[43] ، واخرج الإمام مسلم في الصحيح : (كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يُحَدِّثُ ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ ، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَافْعَلُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ، كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ ، وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ.) [44] ، وقد أشار القران الكريم إلى ارتباط وثيق بين طاعة الله تعالى وطاعة الرسول عليه الصلاة والسلام ، يقول الشنقيطي : (والآيات القرآنية الدالة على لزوم إتباع الوحي ، والعمل به ، لا تكاد تحصى ، وكذلك الأحاديث النبوية الدالة على لزوم العمل بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، لا تكاد تحصى ، لأن طاعة الرسول طاعة الله)[45]، وعن وجوب الإيمان به يقول ابن قدامة المقدسي : (ويجب الإيمان بكل ما اخبر به النبي ﷺ وصح به النقل عنه فيما شاهدناه ، أو غاب عنا، نعلم انه حق وصدق سواء في ذلك ما عقلناه وجهلناه ، ولم نطلع على حقيقة معناه) . [46]

وقد اخرج الإمام البخاري في الصحيح : (عن أبي موسى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ، كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمًا فَقَالَ: يَا قَوْمِ، إِنِّي رَأَيْتُ الجَيْشَ بِعَيْنَيَّ، وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ العُرْيَانُ، فَالنَّجَاءَ، فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ، فَأَدْلَجُوا، فَانْطَلَقُوا عَلَى مَهَلِهِمْ فَنَجَوْا، وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ، فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ، فَصَبَّحَهُمُ

الجَيْشُ فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاحَهُمْ، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي فَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ، وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي وَكَذَّبَ بِمَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الحَقِّ) .[47]

يقول ابن حجر العسقلاني : (قَالَ الطِّيبِيُّ شَبَّهَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَفْسَهُ بِالرَّجُلِ وَإِنْذَارَهُ بِالْعَذَابِ الْقَرِيبِ بِإِنْذَارِ الرَّجُلِ قَوْمَهُ بِالْجَيْشِ الْمُصْبِحِ وَشَبَّهَ مَنْ أَطَاعَهُ مِنْ أُمَّتِهِ وَمَنْ عَصَاهُ بِمَنْ كَذَّبَ الرَّجُلَ فِي إِنْذَارِهِ وَمَنْ صَدَّقَهُ) . [48]

وكما ان طاعته واجبة عليه السلام فتكون معصيته مهلكة ومبطلة ومحبطة للأعمال ، قال الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾ [49]

وقال ايضا ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [50] ، يقول الزحيلي : (أكد الله تعالى وجوب طاعة الرسول بقسم عظيم نفى فيه الإيمان عمن لم يقبل قبولا تاما مع الرضا القلبي حكم النبي ﷺ .

فأقسم تعالى بربوبيته لرسوله بأن الذين رغبوا عن التحاكم إليك من المنافقين لا يؤمنون إيمانا حقا إلا بتوافر ثلاث صفات:

1- أن يحكّموا الرسول في قضايا المنازعات التي يختلفون فيها، فلا يؤمن أحد حتى يحكّم الرسول ﷺ في جميع الأمور، فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطنا وظاهرا.

2- ألا يجدوا حرجا أي ضيقا وشكا فيما يحكم به: بأن تذعن نفوسهم لقضائه وحكمه، مع الرضا التام، والقبول المطلق، وعدم الامتعاض.

3- الانقياد التام والتسليم الكلي للحكم في الظاهر والباطن، من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة. ويدخل هذا في مرحلة التنفيذ، فقد يرى الشخص أن الحكم حق، لكنه يتهرب من تنفيذه) .[51] وقال الله تعالى محذرا من عدم طاعته عليه السلام ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [52]

(واحتج الفقهاء على أن الأمر للوجوب وعلى وجوب طاعة الرسول صلّى الله عليه وسلم لأن الله تبارك وتعالى قد حذر من مخالفة أمره، وتوعد بالعقاب عليها بقوله: أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ فتحرم مخالفته، فيجب امتثال أمره. ومخالفة أمره توجب أحد أمرين: العقوبة في الدنيا كالقتل والزلازل والأهوال وتسلط السلطان الجائر، والطبع على القلوب بشؤم مخالفة الرسول صلّى الله عليه وسلم، والعذاب الشديد المؤلم في

الآخرة.) [53] ، ويربط الله تعالى طاعة الرسول عليه السلام بالإيمان فيقول تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [54] ، يقول صاحب الظلال موضحا هذا المعنى : (وإنه لتحذير مرهوب، وتهديد رعيب.. فليحذر الذين يخالفون عن أمره، ويتبعون نهجا غير نهجه، ويتسللون من الصف ابتغاء منفعة أو اتقاء مضرة. ليحذروا أن تصيبهم فتنة تضطرب فيها المقاييس، وتختل فيها الموازين، وينتكث فيها النظام، فيختلط الحق بالباطل، والطيب بالخبيث، وتفسد أمور الجماعة وحياتها فلا يأمن على نفسه أحد، ولا يقف عند حده أحد، ولا يتميز فيها خير من شر.. وهي فترة شقاء للجميع) [55] ، مما تقدم يتضح أهمية وجوب طاعة الرسول ﷺ وهي أصل من أصول الإيمان وأساس من أسس العقيدة يكفر من أنكرها ويسعد من امن بها وأطاعه ﷺ .[56]

9 – الأسلوب الدعوي للنبي محمد ﷺ :

امتاز النبي ﷺ بالأسلوب الدعوي الأمثل ، ويظهر ذلك جليا في عباراته وأحاديثه وخطبه بابي هو وأمي صلى الله عليه وسلم ومنها على سبيل المثال :

1 – تكرار الخطب: لاحظنا أن النبي ﷺ كرر خطبه، فقد خطب في عرفة، وفي منى مرتين، كما كرر معاني بعض هذه الخطب، فعلى الدعاة أن يقتدوا برسول الله ﷺ ، فيكرروا خطبهم ويكرروا بعض معانيها التي يرون حاجة لتكرارها، حتى يستوعبها السامعون ويحفظوها؛ لأن القصد من خطب الخطيب إفادة السامعين بما يقول، فإذا كانت الفائدة لا تحصل –أو لا تتم– إلا بتكرار الخطب من حيث عددها، أو بتكرارها من حيث تكرار معانيها، فليكررها الداعية، ولا يكون حرصه على أن يأتي بجديد في خطبه ما دام يرى الحاجة في ترسيخ معان معينة في أذهان السامعين، إن الداعية همه أن يفيد السامعين، وليس همه أن يظهر براعته في الخطب، وفي تنوع معانيها، دون نظر ولا اعتبار إلى ما يحتاجه السامعون، ودون اعتبار لفهمهم هذه المعاني واستيعابهم لها .[57]

2– فليبلغ الشاهدُ الغائبَ: وفي هذا توجيه نبوي كريم لكي تعم الفائدة أكبر عدد ممكن من الناس؛ فهذا من باب التعاون على الخير، ولأن الغائب قد يكون أوعى للعلم وأكثر فهمًا له من الحاضر الذي سمع، وعلى الدعاة والعلماء عندما يلقون درسا أو محاضرة

لإخوانهم أو لعامة الناس فمن المستحسن أن يقولوا للحاضرين: فليبلغ الحاضر منكم الغائب بما سمعه.

3- جلب انتباه الحاضر لما يقوله الخطيب: ويستفاد من سؤال النبي ﷺ الحاضرين عن اسم اليوم الذي هم فيه، وكذا عن الشهر والبلد وهم يعرفونها؛ مما يجلب انتباههم إلى ما قد عسى أن يريده بطرح هذه الأسئلة فيصغون إليها إصغاء تامًّا، قال القرطبي: سؤال النبي ﷺ عن الثلاثة -أي عن اليوم والشهر والبلد- وسكوته بعد كل سؤال منها كان لاستحضار فهو مهم، وليقبلوا عليه بكليتهم، وليستشعروا عظمة ما يخبرهم عنه .. فعلى العلماء والدعاة أن يقدموا بين يدي ما يقولونه ما يدعو إلى جلب انتباه السامعين ويشدهم إلى كلامهم . [58]

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه أجمعين وبعد ، من خلال ما تقدم نستنتج ما يلي :

1- الاهتمام بتكوين منهجية للجمع بين السيرة والعقيدة والدعوة والاستفادة من هذه المصادر بمنحى عقدي ودعوي لغرض تفعيل العلوم من جهة وخدمة الأمة على الصعيد العلمي من جهة أخرى .

2- كان لخطبة الوداع أهمية كبيرة على المستوى التشريعي والعقدي والدعوي مما استدعى تسليط الضوء عليها .

3- احتواء الخطبة على مضامين عقدية ودعوية وتشريعية مهمة في بناء الفرد والمجتمع المسلم كالتأكيد على الإخوة وحرمة الدم المسلم وتأكيد معاني العقيدة كالإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر وكذلك احتوت على وسائل دعوية مهمة متمثلة في بلاغة الكلمة وأهمية اختيار الزمان والمكان لها والتكرار وربط المبادئ التي ينادي بها الداعية بالمقاصد .

الهوامش:

(1) أخرجه الإمام مسلم (من حديث طويل عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه) ، صحيح مسلم بشرح الإمام النووي، (بيروت: دار الفكر 1392هـ) ص: 183-184.

- وأخرج أبو داود بعضه، عون المعبود وشرح سنن أبي داود، ج7، ط / 3، (بيروت: دار الفكر، 1399هـ) ص: 183 البيوع وضع الربا.

(2) ابن هشام، سيرة النبي (ﷺ) ، جـ4، (القاهرة: دار الفكر) ص: 275، وما بعدها.

[3] د. محمد بن محمد أبو شهبة، السيرة النبوية في ضوء الكتاب والسنة، جـ 2، ط / 2، (دمشق: دار القلم، 1412هـ) ، ص: 572-574.

- والظاهر كما أثبت في مراجع الخطبة في المدرك نفسه أنه رحمه الله جمع بين رواية مسلم والبخاري في فتح الباري شرح صحيح البخاري (ك64، ب 77) ورواية ابن ماجه وابن إسحاق الثاني لإشارة إليها بالإضافة إلى ما جاء عند ابن كثير في كتاب البداية والنهاية، جـ 5، 170- 171. وكذا أخرجه الإمام أحمد في المسند [5/ 73] عن أبي حرة الرقاشي عن عمّه ،وكذا أخرجه الترمذي في أبواب تفسير القرآن، سورة التوبة، برقم (3087) ، وابن ماجه في أبواب المناسك، باب الخطبة يوم النحر، برقم (3055) من حديث عمرو بن الأحوص .

[4] المنهج الحركي للسيرة النبوية، منير محمد الغضبان، مكتبة المنار، الأردن ، الزرقاء ، ط6 ، 1990م ، ج3 ، ص 199 – 201

[5] السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني ، أحمد أحمد غلوش ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، ط 1 ، 1424هـ- 2004م ، ج 1 ، ص 673 : وينظر ، السيرة النبوية دروس وعبر ، مصطفى حسني السباعي ج1 ،ص 166 ، السيرة النبوية على ضوء القران والسنة ، محمد بن محمد بن سويلم أبو شهبة دار القلم دمشق ، ط8 ، ج2 ، ص574 ، السيرة النبوية ، علي أبو الحسن بن عبد الحي بن فخر الدين الندوي ، دار ابن كثير دمشق ط12 ، 1425ه ، ج1 ، ص 523 ، فقه السيرة ، محمد الغزالي السقا ، دار القلم دمشق ، 1425 ه ، ج1 ، ص 455 ، فقه السيرة مع موجز للخلافة الراشدة ، محمد سعيد رمضان البوطي ، دار الفكر دمشق ط25 ، 1426 هـ، ج1 ، ص 313 – 33.

[6] السيرة النبوية- دروس وعبر، مصطفى بن حسني السباعي، المكتب الإسلامي ، ج1، ص 165 – 166

[7] فقه السيرة مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة ، محمد سعيد رمضان البوطي ، دار الفكر –دمشق ط25 ، 1426 هـ ، ص326 – 327 .

[8] فقه السيرة مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة ، محمد سعيد رمضان البوطي ، دار الفكر –دمشق ط25 ، 1426 ه ، ص327 – 328 .

[9] الجوانب الإعلامية في خطب الرسول، سعيد بن علي ثابت ، وزارة الشؤون الإسلامية السعودية 1417هـ، ج1 ، ص 17 -18 .

[10] الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ج1 ، ص 132

[11] سنن الترمذي، أبو عيسى، محمد بن عيسى الترمذي ، تحقيق : بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1998م ج 5 ، ص 296 ، رقم 3341

[12] بدائع التفسير ، ابن القيم الجوزية ،ج 1، ص 112 .

[13] سورة يوسف الآية : 18 .

[14] أخرجه مسلم في كتاب القدر ، بَاب فِي الأَمْرِ بِالْقُوَّةِ وَتَرْكِ الْعَجْزِ وَالِاسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ وَتَفْوِيضِ الْمَقَادِيرِ لِلَّهِ برقم 4816 .

[15] أخرجه أبو داود في تفريع صلاة السفر ، بَاب مَا يَقُولُ الرَّجُلُ إِذَا سَلَّمَ برقم 1291 .

[16] جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي ، ج1 ، ص 478

[17] سورة النحل الآية 125

[18] تفسير ظلال القران ، سيد قطب ، ج4 ، ص 2201 – 2202

[19] أصول الدعوة ، عبد الكريم زيدان ، ص307 – 308

[20] سورة آل عمران ، الآية 110
[21] سورة الحشر ، الآية 18
[22] السيرة النبوية ، علي محمد الصلابي ، ص 875
[23] شرح النووي على مسلم ج 17 ، ص 165
[24] فيض القدير شرح الجامع الصغير ، زين الدين محمد بن عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي القاهري ، المكتبة التجارية الكبرى ، ط1 ، 1365م ، ج 2 ، ص 356
[25] سورة الإسراء الآية 53
[26] سورة المائدة الآية 91
[27] تفسير القران العظيم ، ابن كثير الدمشقي ، ج5 ، ص 86 --87
[28] ظلال القران ، سيد قطب ، ج4 ، ص 2234
[29] سورة الحجرات ، الآية 10
[30] الجامع لإحكام القران ، أبو عبد الله محمد بن احمد القرطبي ، ج16 ، ص 323
[31] الأمة الوسط والمنهاج النبوي في الدعوة إلى الله ، عبد الله بن عبد المحسن بن عبد الرحمن التركي ، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية ط1، 1418 ه ، ص 104 – 105
[32] فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة أبو حامد الغزالي ص 128
[33] الشفا بتعريف حقوق المصطفى القاضي عياض ، ج2 ، ص 282
[34] درء تعارض العقل والنقل ابن تيمية ، ج1 ، ص 242
[35] العواصم و القواصم محمد إبراهيم ابن الوزير ، ج4 ، ص 178 – 179
[36] شرح العقيدة الطحاوية ، ابن أبي العز الحنفي ، ص 246
[37] صحيح مسلم ، ج3 ،ص 1302
[38] صحيح مسلم ، ج1 ، ص79
[39] مجمع الزوائد ج1 ، ص107
[40] شرح العقيدة الطحاوية ،ص316
[41] موسوعة الرد على المذاهب الفكرية ، علي بن نايف الشحود ،ج40 ، ص 16 ، وينظر : الحكم وتكفير المسلم ، سالم البهنساوي ، ص343 ، تكفير المسلم محمود سالم عبيدات ، ص 444
[42] المنهج الحركي للسيرة النبوية ، منير محمد الغضبان ، مكتبة المنار الأردن ،1990 ، ج3 ، ص 200
[43] سورة النساء الآية 80
[44] المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، دار الجيل ، بيروت 1334 ه ، ج 7 ، ص91 ، رقم الحديث ، 6184
[45] أضواء البيان في إيضاح القران بالقران ، محمد الأمين بن محمد بن المختار الشنقيطي ، دار الفكر بيروت ، 1995 م ، ج7 ، ص302
[46] لمعة الاعتقاد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية ط2 ، 2000م ، ص 28

(47) الجامع الصحيح المسند من أمور رسول الله وسننه وأيامه ، محمد بن إسماعيل البخاري ، تحقيق محمد زهير الناصر ، دار طوق النجاة 1422ه ، ج9 ، ص 93 ، رقم الحديث 7283

(48) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، احمد بن علي بن حجر العسقلاني ، دار المعرفة ، 1379 ه تحقيق ، محب الدين الخطيب ، ج11 ، ص 371

(49) سورة محمد الآية 33

(50) سورة النساء الآية 65

(51) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، وهبة بن مصطفى الزحيلي دار الفكر المعاصر دمشق ، ط2، 1418 هـ ،ج5 ص 139

(52) سورة النور الاية 63

(53) التفسير المنير ، وهبة الزحيلي ، ج18 ، ص 318

(54) سورة الأحزاب الآية 36

(55) تفسير ظلال القران ، سيد قطب ج4 ص 2535

(56) المسائل العقدية المستنبطة من الهجرة إلى الحبشة ، مصطفى احمد إبراهيم ،غزة الجامعة الإسلامية ، 2014 م ، ص116

(57) السيرة النبوية ، علي الصلابي ج1 ، ص 877 : وينظر المستفاد من قصص القران عبد الكريم زيدان ج2 ، ص 517 – 518

(58) الجوانب الإعلامية في خطب الرسول صلى الله عليه وسلم ، سعيد بن علي ثابت ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، ج1 ، ص 91 .

المصادر والمراجع :

1- أصول الدعوة ، عبد الكريم زيدان ، مؤسسة الرسالة ، ط9 ، 1421هـ

2- أضواء البيان في إيضاح القران بالقران ، محمد الأمين بن المختار الشنقيطي ، دار الفكر بيروت ، 1995م

3- الأمة الوسط والمنهاج النبوي في الدعوة إلى الله تعالى ، عبد الله عبد المحسن عبد الرحمن التركي ، الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية ، ط1 ، 1418هـ

4- بدائع التفسير الجامع لما فسره الإمام ابن القيم الجوزية ، جمعه وخرج أحاديثه : يسري السيد محمد ، راجعه ونسق مادته ورتبها : صالح احمد الشامي ، دار ابن الجوزي ، ط2 ، 1427 هـ.

5- البداية والنهاية ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي ، تحقيق علي شيري ، دار إحياء التراث العربي ، ط1 ، 1408هـ .

6- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، وهبة بن مصطفى الزحيلي ، دار الفكر المعاصر – دمشق ، ط2 ، 1418هـ.

7- تفسير القران العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي ، المحقق: سامي بن محمد سلامة ، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع ، ط 2 ، 1420هـ .
8- الجوانب الإعلامية في خطب الرسول صلى الله عليه وسلم ، سعيد بن علي بن ثابت الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية ، ط1 ، 1417هـ.
9- الجامع لأحكام القران ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجى شمس الدين القرطبي ، تحقيق هشام سمير البخاري ، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية ، ط 2 ، 1423 هـ .
10- جامع العلوم والحكم ، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، الناشر : دار المعرفة - بيروت ، ط1 ، 1408هـ.
11- الحكم وتكفير المسلم، سالم البهنساوي، دار البحوث العلمية - الكويت، ط3، 1985م .
12- درء تعارض العقل والنقل، أبو العباس احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني ابن تيمية ، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم ، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية ، ط2 ، 1411 هـ .
13- السيرة النبوية ، أبو محمد جمال الدين عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، ، تحقيق، مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى ألبابي الحلبي وأولاده بمصر ، ط 2، 1375هـ
14- السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة ، محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة ، دار القلم ، دمشق ، ط 8 ، 1427 هـ .
15- السير والمغازي ، محمد بن إسحاق بن يسار المدني ، تحقيق سهل زكار ، دار الفكر بيروت، 1978م .
16- السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني، احمد احمد علوش ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، ط1 ، 1424هـ .
17- السيرة النبوية ، دروس وعبر ، مصطفى حسني السباعي ، المكتب الإسلامي ، القاهرة ، ط3 ، 1405 هـ .
18- السيرة النبوية ، علي أبو الحسن بن عبد الحي بن فخر الدين الندوي ، دار ابن كثير - دمشق ، ط12 ، 1425 هـ.
19 -السِّيرةُ النّبوية عرضُ وقائع وَتحليل أحدَاث ، عَلي محمد محمد الصَّلاَّبي ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان ، ط7 ، 1429 هـ .

20- سنن ابن ماجة ، محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر بيروت ، بلا ت .
21- سنن الترمذي ، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون ، بلا ت.
22- الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، الناشر: دار الفيحاء – عمان ، ط2 ، 1407 هـ .
23 - شرح العقيدة الطحاوية ، ابن أبي العز الحنفي ، الناشر : المكتب الإسلامي – بيروت ، ط4 ، 1391 هـ.
24- ظلال القران ، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي ، الناشر: دار الشروق - بيروت- القاهرة ، ط17 ، 1412 هـ .
25- العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم ، ابن الوزير، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني ألقاسمي، أبو عبد الله، عز الدين، من آل الوزير ، حققه وضبط نصه، وخرج أحاديثه، وعلّق عليه: شعيب الأرنؤوط ، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ، ط3 ، 1415 هـ
26- عون المعبود شرح سنن أبي داود ، محمد شمس الحق العظيم أبادي ، دار الكتب العلمية بيروت ، 1995 م
27- فتح الباري شرح صحيح البخاري ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب ، دار المعرفة ، بيروت، 1379هـ.
28- فقه السيرة ، محمد الغزالي السقا ، دار القلم ، دمشق ، تخريج الأحاديث: محمد ناصر الدين الألباني ،ط1 ، 1427 هـ
29- فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة ، محّمد سَعيد رَمضان البوطي ، الناشر: دار الفكر – دمشق ، ط25- 1426 هـ
30- فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة ، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه : محمود بيجو ، دار الكتاب المصري – القاهرة ، ط1 ، 1400هـ.
31- فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين بن محمد بن عبد الرؤف بن تاج العرفين بن علي المناوي ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، ط 1، 1415هـ.

32- قضية الإيمان والتكفير في أراء فرق المسلمين ، محمود سالم عبيدات ، دار البشير – عمان ، ط3 ، 1419 هـ – 1999 م .
33- لمعة الاعتقاد ، عبد الله بن محمد بن احمد بن قدامة المقدسي ، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية ، ط1، 1420هـ.
34- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي ، تحقيق حسام الدين القدسي ، مكتبة القدسي ، القاهرة ، 1414هـ ، 1994م .
35- المسند ، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني ، تحقيق ، السيد أبو المعاطي ألنوري ، عالم الكتب ، بيروت ، ط1 ، 1419هـ .
36- المستفاد من قصص القران الكريم للدعوة والدعاة ، عبد الكريم زيدان ، مؤسسة الرسالة– بيروت ، ط1 ، 1419هـ.
37- المسائل العقدية المستنبطة من الهجرة إلى الحبشة ، مصطفى بن احمد بن إبراهيم ، الجامعة الإسلامية – غزة ، 2014م.
38- المنهج الحركي للسيرة النبوية ، منير محمد الغضبان ، مكتبة المنار، الأردن – الزرقاء ، ط6 ، 1411 هـ .
39- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط2، 1392هـ.

Conclusion

The Biography of the Prophet precious to its owner the best blessings and peace be upon the level of roses and deduction is a source of legislation، and faith and morals and the call to God، it is important to be addressed by research studies reading and Astenbata and configure output nodosum and advocacy، legislative and moral contribute to building the individual and society ،
The farewell sermon important resource to take these outcomes، this study has preceded what was written labeled in the Biography of the Prophet on its owner the best blessings and peace of the previous and updated studies، which enriched the researchers in this science and insiders Therefore، this study has shed light on his farewell and show the contents in the field of faith and advocacy and legislation، and thus graduated Biography of the Prophet Muhammad from space limited knowledge of the biography alone into collaboration of conduct and belief، advocacy، and into the historical description of the personality of the Prophet Muhammad، peace be upon him into the development of content and the values and the general rules of the Organization for human life in the architecture of the Earth، said that the search for the content ad valorem on the level of belief and behavior in the worth of Islamic thought that the researcher conducting the result to good scientific thinking that leads to the correct appropriate behavior capable of individual mental Rabbani، contributing to the nation-building of the new configuration